

خطبة

(ذكر الله وأثره على استقامة النفس

البشرية)

فضيلة الشيخ

ابي عبد الله صلاح بن محمد غانم

(رحمه الله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَغِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنْ شُرُوْرِ اَنْفُسِنَا وَمِنْ
سَيِّئَاتِ اَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللّٰهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُّضِلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَاشْهَدُ اَنْ لَا اِلَهَ اِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ وَاشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ
-صلى الله عليه وعلى اله وسلم-.

• اَمَّا بَعْدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [ال عمران ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَاZ فوزًا عَظِيمًا﴾ [الاحزاب ٧١]

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه
وعلى آله وسلم-، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فإن تلك الحياة التي يحياها كل آدمي من يقظته إلى منامه، ومن ميلاده إلى مماته ليست هذه الحياة حياة بلا موت، وليست هذه الحياة دنيا بلا آخرة، وليست هذه الحياة أعمال بلا حساب ولا عقاب، وإنما هي دنيا يتبعها آخرة، وحياء يعقبها موت وأعمال يقام عليها الحساب، فإما آخذ بيمينه وإما آخذ بشماله، إما ناجي مسلم أو مخدوش مكردس.

والمرء عامل لنفسه مخير بين الأمرين، والله رب العالمين جعل الإنسان في هذه الحياة عامل لأخراه كما هو عامل لدنياه، فأمرك الله رب العالمين أن تعمل لأخرتك كما أنت عامل لدنياك.

والحياة الدنيا لا تصلح للمرء إلا بأن يحصل أمورا لا غنى له فيها عنه من مأكّل ومشرب ومنكح ومسكن ومركب، وكذلك الآخرة لا غنى للمرء عن تحصيل أمور لا تصح له الحياة فيها إلا بها من درجة وحسنة وطاعة وقربة وذكر وعمل صالح.

والله رب العالمين قدر بين الحياة الدنيا وقدر الآخرة ، فالدنيا دار من لا دار
له، ومال من لا مال له، وإليها يركن من لا عقل له، ولها يجمع من لا علم
له، إذا حلت أوحلت وإذا كست أوكست، حلالها حساب وحرامها عقاب،
متاعها حقير وأجلها قصير، وأما الآخرة فهي دار المأوى والقرار، هي دار المحيا
والحيوان ، الجار فيها الله ذو الجلال والاکرام، والصحب فيها الأخيار الأبرار
من الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ،
الأهل فيها زوجات حسان وهور عين كأنهن بيض مكنون، والولدان فيها
ولدان مخلصون يطوفون على آبائهم وأمهاتهم وبأكواب وأباريق وكأس من
معين، وإن الذين يدخلون عليه من كل باب فهم ملائكة الله المطهرون.
فإذا كانت الدنيا بهذه المثابة، والآخرة بهذه المثابة فلم يعمل المرء لدنياه أكثر
مما يعمل لأخراه!! ، لم يحرص المرء على دنيا فانية ويغفل عن آخرة باقية!! لم
يعمل المرء لدار تفنى وتبور ولا يعمل لآخرة تبقى وتدوم.

ولقد بين الله رب العالمين ذلك في كتابه فقال : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَابْقَى ﴾ والله تبارك وتعالى أمرنا أن نأخذ بأسباب

الآخرة بالمسارعة والمسابقة والتنافس فقال سبحانه ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ

مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾

وَقَالَ سبحانه بعد ذكر مآل الأبرار ومآل الفجار، فذكر مآل الأبرار فقال :

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾.

والأعمال ليست واحدة فأعمال الدنيا بعضها يتفاضل عن بعض، وبعضها

خير من بعض، وبعضها أزكى من بعض، وبعضها أرفع من بعض ، فالغني

ماله خير من مال الفقير، والقوي بدنه خير من بدن الضعيف، والصحيح

فيها خير من المريض، والعالم فيها خير من الجاهل، فالناس يتفاضلون في

دنياههم على حسب أعمالهم ومقاماتهم ودرجاتهم، وكذلك الناس يتفاضلون في

آخراهم على حسب أعمالهم ومقاماتهم ودرجاتهم وأحوالهم.

ولقد بين لنا ربنا تبارك وتعالى ما يصل المرء به إلى الدار الآخرة من أعمال
حسان ومقامات عظمى ودرجات رفيعة وأعمال عظيمة.

وبين النبي ﷺ ذلك ، فبين النبي ﷺ خير الأعمال وبين أفضلها وأشرفها
وأرفعها كل ذلك من أجل ألا يضيع على المرء حظه في أخراه من أجل أن
يسابق مع المسابقين، من أجل أن يسارع مع المسارعين.

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه
قال، قال رسول الله ﷺ : (أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ
، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ
أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ ! ، قالوا : بَلَى ،
(قال : ذِكْرُ اللَّهِ). أخرجه الترمذي (٣٣٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٤٤٧ / ٦)

فبين النبي ﷺ أرفع الأعمال وأفضل الأعمال وأشرف الأعمال وهو ذكر الله
العزیز المتعال، وهو يسير على من يسره الله عليه وهو عظيم عند من عرف
قدره وفضله.

فالله رب العالمين مع الذاكرين ، فإذا ما ذكر المرء ربه في نفسه ذكره الله في نفسه، وإذا ما ذكر المرء ربه في ملاً ذكره الله رب العالمين في ملاً خير منه، وما تقرب العبد إلى الله شبراً إلا وتقرب الله إليه ذراعاً، وما تقرب العبد إلى ربه ذراعاً إلا تقرب الله رب العالمين إليه باعاً.

وإن في الدنيا جنة وإن في الآخرة جنة، فأما جنة الدنيا فهي: حلق الذكر، هي: حلق العلم.

وفي ذلك قال النبي ﷺ (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قيل : يا رسول الله وما هي رياض الجنة؟ قال : حلق الذكر) أخرجه الترمذي (٣٥١٠)، وأحمد (١٢٥٤٥)، وأبو يعلى (٣٤٣٢) واللفظ له .

لأنها حلق يُذكر الله فيها ، لأنها حلق يمجّد الله فيها لأنها حلق يُسبح الله فيها، لأنها حلق يؤمر فيها بالمعروف وينهى فيها عن المنكر.

هذه الحلق لشرفها وعظمتها وفضلها فإن ملائكة السماء إذا تلمست حلقة من تلك الحلق نادي بعضها على بعض: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيُخَفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وهو أعلم منهم- ما يقول

عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ:
فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ
رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا
وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ
الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ:
يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا
حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ:
مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا،
قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا،
وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا
يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)، فَيَغْفِرُ لَهُ مَعَهُمْ.

وهذا مقام الذاكرين، وهذا شرف الذاكرين، وهذا فضل الذاكرين، يجعل الله رب العالمين جليسهم وهو لا حاجة له في الذكر، وإنما يغفر الله رب العالمين له لكونه على مقربة منه.

وقد بين النبي ﷺ أن أهل الذكر هم السابقون الذين يأتون يوم القيامة فرادى واحد بعد الواحد.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ، فَقَالَ: سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمَفْرَدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمَفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ).

المفردون: الذين يأتون يوم القيامة فرادى يأتي الواحد بعد الواحد، يقال هذه أمه من الأمم فينتظر الناس، ينتظر الناس مجيء الجمع الغفير، والعدد الكثير فيجدون رجل واحد ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل ١٢٠].

فانظر إلى أثر الذكر دنيا وآخره، وكفى في شرف الذكر شرفاً أن الله رب العالمين يباهي ملائكته بأهله.

كما عند مسلم في الصحيح عن معاوية رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ يَعْنِي مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ مَا أَجْلَسَكُمْ قَالُوا : جَلَسْنَا نَدْعُوا اللَّهَ وَنُحَمِّدُهُ ، عَلَى مَا هَدَانَا لِدِينِهِ وَمَنْ عَلَيْنَا بِكَ قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ قَالُوا اللَّهُ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أُسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَإِنَّمَا أَتَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ).
عبد الله إذا أصبحت عند صباحك فوجدت اسمك واسم أبيك في جريدة من الجرائد، وقد ذكرك من محامد فلان بن فلان رئيساً أو وزيراً أو مديراً كان، فكيف يكون شأنك عند أصباحك؟ فكيف بك والله رب العالمين إذا ذكرته ذكرك عن أشرف الخلق ، ذكرك الله رب العالمين في الملأ الأعلى بين يدي جبريل وميكائيل وإسرافيل والملائكة المقربين، يقول الله رب العالمين: هذا عبدي فلان بن فلان ذكرني فاذكره بينكم.

وذكر الله توفيقه، وذكر الله تأييده، وذكر الله رب العالمين معيته، وذكر الله إحاطته، وذكر الله دفاعه عن عبده، فلم تبخل على نفسك!!
لم تبخل على نفسك عبدالله هذا الفضل العميق الذي لا يكلفك إلا حركة لسان ولكن....

الموفق هو من وفقه الله، والمسدد من سدد الله.

وأهل الذكر أقوام عمرت قلوبهم بمحبة الله، وملئت نفوسهم بالشوق إليه، وهامت أرواحهم بلقائه، فأبدانهم على الأرض وأرواحهم تطوف حول العرش في السماء، فما زالت الأرواح تدفع الجوارح فيلهج اللسان بذكره، وتتقرب الجوارح إليه بحبه، ويسعى المرء جاهدا في إرضاءه.

فلا تظن أن الذي وفق للذكر رجل استعمل لسانه ولكن....

الذي وفق للذكر رجل استعمله قلبه وجنانه فدفعه قلبه الذي عمر بحب ربه، دفعه قلبه إلى ذكره، ودفعه قلبه إلى الثناء عليه، ودفعه قلبه إلى التقرب إليه بمحابه.

نبيكم ﷺ سأل عن أفضل الأعمال، فما قال النبي ﷺ: كثره صلاة النوافل،
ولا كثره صيام الفرائض، ولا قال كثره الحج والعمرة، ولا قال كثره الإنفاق
وانما سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: أن تفارق الدنيا
ولسانك رطب من ذكر الله.

فرطب اللسان من رطب لسانه بذكر الله، هذا يتقرب إلى الله بأفضل
الأعمال.

ولقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يذكر له ضعفه وعجزه عن التقرب إلى الله
بالنوافل فذكر: أن هذا الأمر عظيم وأنه عليه شديد، فهل من عمل يكفيه
ذلك كله فقال له ﷺ: لا يزال لسانك رطب من ذكر الله.

فيا من عجز عن قيام الليل، يا من عجز عن صيام النهار، يا من بخل
بالمال، يا من تخلف عن العلم....

أعجزك أن تكون من الذاكرين!!!

أيعجزك أن تكون على ربك من المثنين، أن تذكر الله رب العالمين في كل وقت وحين.

بين النبي ﷺ أن حركه اللسان إنما هي نابعة من حياه القلب، كما أن حركة البدن نابعة من حياة الروح فقال ﷺ: فيما جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

فالذاكر لله حيّ، أحيا الله قلبه، أحيا الله عقله، ونور الله بصيرته....

وأما الذي لا يذكر الله رب العالمين فهو رجل أمات الله قلبه، وأعمى الله بصيرته، وأهمل الله رب العالمين نفسه، بل بين النبي ﷺ أن الفرق بين البيت الذي يذكر فيه الله، والبيت الذي لا يذكر فيه الله كالدنيا والقبر، كحياة الناس في دنياهم، وكحال الناس في قبورهم فقال ﷺ: (مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

فجعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت.

قال القائل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور.....
وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور.

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور، نسيان ذكر الله
علامة فارقة على حياة القلب، وموته نسيان ذكر الله رب العالمين علامة على
كون قلب العبد قبره، قال: وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى
النشور نشور

النبى ﷺ بين أن الذاكر حي وأن غير الذاكر ميت....

وأن بيت الذاكر كبيت الأحياء، وأن بيت غير الذاكر كالقبر وما أدراك ما
القبر.

ونبيكم ﷺ أخبر أن الذكر مستجلب به أمور عظام فقال ﷺ: (ما اجتمع
قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونهُ فيما بينهم إلا نزلت

عليهم السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ
عِنْدَهُ) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) مطولاً باختلاف يسير .

أربع بأربع، أربع لا يُتوصل إليهن إلا بأربع يقوم المرء بهن .

فالسكينة التي تورث راحه الضمير، وهدوء النفس، واستقرار البال، هذه
السكينة لا يتحصل عليها إلا بالذكر.

ورحمة الله رب العالمين لا تنزل إلا على الذاكرين وملائكة الله الطيبون،
ملائكة الله المطهرون لا يجلسون إلا من كان على شاكلتهم من أصحاب
الألسنة الذاكرة، والقلوب العامرة.

وذكر الله تبارك وتعالى لعبده لا يكون إلا بعد ذكر العبد لربه، فإذا ما أردت
أن يذكرك ربك فابدأ بذكره فإن الجزاء من جنس العمل.

عباد الله إننا نعلم دنيانا ونحرص على أحسن ما فيها، فلم نخرب ديننا!! لم
نخرب آخرانا ونجعل فيها ما لا يرضى الرب تبارك وتعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ
مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل ٦٢].

الغفلة تحزنكم، والنسيان يؤذيكُم، والبعد يفرق بينكم، فلم تغفلون عن ذكر ربكم؟؟ لم تبعدون عنه؟؟ لم لا تأخذون بالوسائل التي لا تقربكم إليه؟؟
ولذلك إذا نسيك أو ابتعد عنك أو جفاك ولا يصلك صار من العاقين وصار عندك من المغضوب عليهم، فلم تجعل ذلك حظك عند ربك؟؟ ﴿النحل ٦٢﴾.
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴿النحل ٦٢﴾.

فאלلهم احى قلوبنا بذكرك، واقبل بنفسنا على حبك، واجعل ألسنتنا لاهجه بالثناء عليك ، وقلوبنا عامرة بالشوق إليك، ومجالسنا مليئة بذكرك.

وصلى الله على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد :

فإن أطيب المساكن تلك التي عمرت جذورها، وغرست أشجارها، وحفرت أنهارها، فهذا البيت أغلى من بيوت الدنيا والحياة وأحلاها، وهذا الذي تذهب إليه كل نفس والآخرة كذلك.

أخبرك الله رب العالمين أن لك فيها جنة، وأن لك فيه دارًا، وأن لك فيها قصرًا، وأن لك فيها زرعًا، وأن لك فيها قصور وخيام ، كل ذلك لا تصل إليه إلا بذكر الله رب العالمين.

فإن إبراهيم عليه السلام لما لقي النبي الهمام ﷺ ليلة أسرى به قال النبي ﷺ: لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرَأُ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ عَلِي خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ السَّلَامَ وَالرَّحْمَةَ وَالْبَرَكَهَ، فَنَبِي اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ يَقْرَأُكُمْ السَّلَامَ يَسْلَمُ عَلَيْكُمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ سَلَامَهُ عِبَادَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ ، وَأَنْهَا قِيَعَانُ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

قال علماؤنا عليهم الرحمة: الجنة خالية، جنتك خالية لا قصر فيها ولا زرع لا نهر فيها ولا شجر، أنت الذي تزرع شجرك، وأنت الذي تبني قصرك، وأنت الذي تحفر نهرك، فزارع وقاطع، وبان وهادم، وحافر وغير حافر!!

قال علمائنا عليهم الرحمة: فإن الرسول ﷺ أخبره إبراهيم عليه السلام أن الجنة خالية لا بناء فيها ولا شجر، وأن من أراد أن يعمر جنته فعليه بطاعة ربه، وإن من أرجى أعمال المرء في إعمار جنته أن يذكر الله رب العالمين، فإذا ما قال: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) غرس له بكل واحدة شجرة في الجنة هذه الشجرة عظيمة القدر.

أخبر نبيكم ﷺ عن بعض أشجار الجنة فقال: شجرة يسير الراكب المجد تحتها مائة عام لا يقطعها، هذه شجرة واحدة لا تكلفك إلا أن تقول: سبحان الله، أو أن تقول الحمد لله، أو أن تقول الله أكبر، أو أن تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وهو على كل شيء قدير.

وذكر الله حركة حياة فأهل الحق من أهل الفضل يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فلك في كل حركة ذكر، ولك في كل مكان ذكر، ولك في كل وقت ذكر، فعند يقظتك تذكر الله رب العالمين تقول ما علمك نبيك ﷺ: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور.

واذا أمسيت تقول: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير.

بين النبي ﷺ أن هذا ما ينبغي المرء قوله عند صباحه، فإذا ما أصبح فقال: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر"، فقد أديت شكر يومك، والشكر يستوجب الزيادة، الشكر يستوجب الزيادة، والكفر يستوجب النقصان .

وبين لك نبيك ﷺ ما تقوله عند دخولك وخروجك، فإذا ما دخلت بيتك فقل: بسم الله، وتسلم على أهلِكَ وتقول: السَّلامُ عَلَيْنَا وعلى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ إن كان خالي، فإذا ما أردت الخروج تقول عند خروجك: بسم الله، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فيقول لك الملك عند ذلك: كُفَيْتَ ووُكِّيتَ، ويتنحَّى له الشَّيْطَانُ، فيقول للشيطان آخر أراد بك سوءا: كيف لك برجل هدي وكفى ووقي.

فانظر إلى تلك الكلمات أن تكون سببا في حمايتك، وتكون سببا في حفظ مالك، وتكون سببا في حفظ بدنك.

فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لدغني الباردة عقرب، فقال له النبي ﷺ: أما أنك لو قلت: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، ما لدغك.

ويقول لكم نبيكم ﷺ من قال حين يصبح وحين يمسي: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، لم يضره شيء في يومه ولا مساءه، ذكر ذلك الحديث أبان ابن عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد أصابه ما يسمى بالشلل الذي يقعه عن الحركة، فنظر إليه السامع متعجبا -يعني كيف تقول ذلك وقد أصابك ما أصابك- فقال: والله ما كذبت ولا كذب عثمان ولكن في اليوم الذي أصابني ما أصابني غضبت على أهلي فنسيت ذلك الذكر فوقع بي ما ترى.

فيا عباد الله عليكم بذكر الله رب العالمين، فإن ذكر الله تبارك وتعالى حياة القلوب، وإن ذكر الله رب العالمين شرف المؤمن، وإن ذكر الله رب العالمين مفتاح كل خير، وإن ذكر الله رب العالمين دفع كل شر.

ألا ترى إلى نوح عليه السلام كيف نصره الله رب العالمين بذكره حين آذاه قومه فقال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ﴾ ١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿القمر﴾.

ألا ترى كيف نجي الله يونس عليه السلام لما وضع في بطن الحوت فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٧]، فانجاه الله رب العالمين من الغم وكذلك ينجي الله المؤمنين .

ألم تر كيف وهب الله زكريا بعد طول العمر حينما قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء ٨٨].

ألم تر إلى أيوب كيف شفاه الله رب العالمين حينما قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ
الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٣].

ألم تر إلى نبيك ﷺ لما جاء له رجل من أسلم فقال: أسلم عادت الله ورسوله
فادعوا الله عليها يا رسول الله، فقال النبي ﷺ أسلم سالمها الله، فأنت مسلمة.
وكذلك غفار قال: غفار غفر الله لها، فأنت مسلمة.

ودوس قال عنها اللهم أتي بدوس فهدي الله أهل دوس فدخلوا في الإسلام
أفواجا .

عبدالله حاجتك عند ربك ولا سبيل لقضائها إلا بذكره،
حاجتك عند ربك ولا سبيل للوصول إليها إلا أن تطرق بابه، وإن أقرب
طريق للوصول إلى المأمول ذكر الله رب العالمين.
فاللهم اجعلي وإياكم من الذاكرين.

وصلّي الله على محمّد، صلّي الله عليه وعلى آله وسلم .